الفصل الثاني

علم البيان في تفسير السَّمين الحلبي

البيان لغةً: قال ابن منظور: «ما يبين به الشيء، من الدلالة وغيرها. وبانَ الشيء: اتَّضَحَ فهو بينٌ، واستَبان الشيء: ظَهَرَ. والبيانُ الفصاحةُ واللُّسْنُ، كلامٌ بيِّنٌ فصيحٌ. البيانُ الإفصاح مع ذكاء، والبَيِّنُ مِنَ الرجال: الفصيحُ والسَّمعُ واللسان، وفلان أبينُ من فلان أي: أفصح منهُ وأوضح كلاماً، والبيان: إظهار المقصود بأبلغِ لفظ، وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور»[1].

وقد ذكر لفظ البيان في القرآن الكريم في غير ما موضع كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٨].

أما مدلوله في البلاغة العربية فكان يراد بها المعاني العامة، قال الجاحظ: «البيان: اسم جامع لكل شيء كشف لكل قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً من كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأنَّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[2].

---

(١) لسان العرب، مادة (بين).

(٢) البيان والتبيين: ٧٩/١.

وجعل الجرجاني الفصاحة والبلاغة والبيان، تدل على معنى واحد أو متقارب، وهو التعبير عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا، وتكلموا، وأخبروا السامعين عن مقاصدهم وأغراضهم وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم[1].

وظل هذا المفهوم الواسع لكلمة (بيان)، حتى جاء السكاكي الذي غير هذا المعنى الواسع إلى المعنى العلمي الاصطلاحي، فهو أول من حدد أو قسم علوم البلاغة على المعاني والبيان، وما يلحق بهما من محسنات معنوية ولفظية، وذلك في كتابه (مفتاح العلوم)، وقد قال في تعريف البيان: «أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[2].

وهكذا أخذ البيان عند السكاكي صورة علمية وصار يدلُّ على التشبيه والمجاز والكناية بعد أن كان مفهوماً عاماً وشاملاً.

وقد تناول مفسرنا السَّمين الحلبي علم البيان بالتحليل والدراسة ذاكراً أنواعه من التشبيه والمجاز بنوعيه العقلي والمرسل والاستعارة والكناية.

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص٣٥.

(٢) مفتاح العلوم، ص٧٧.

المبحث الأول

التشبيه

التشبيه لغةً: قال ابن منظور: «الشَّبه والشَبيه المثل، أشبه الشيء، وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه عليَّ، وتشابه الشيئانِ واشتبها: أشبه كل واحدٍ منهما صاحبه، والتشبيه التمثيل»[1].

التشبيه اصطلاحاً: هو عقد مشابهة بين شيئين اشتركا في صفة أو أكثر، وَحدَّه السكاكي بقوله: «إنَّ التشبيه مستدع طرفين مشبَّهاً ومشبَّهاً به، واشتركا فيهما من وجه وافترقا من آخر»[2].

وقد ذكر القزويني تعريفاً دقيقاً للتشبيه قائلاً: «التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى»[3].

والتشبيه من وسائل التعبير التصويرية يستمد قوته من الخيال[4]. وتأتي أهميته البلاغية أنه يخرج الخفيَّ إلى الواضح ويجعل البعيد قريباً.

ولا شك أنَّ السَّمين الحلبي من كبار علماء اللغة والتفسير، إلاَّ أنه لم يكن متأثراً بأسلافه وأقرانه من العلماء، من حيث التفصيل في فروع التشبيه وأقسامه المتعددة. فقد كان في تناوله للتشبيهات الموجودة في القرآن الكريم فَصَّلَ فيها بشيء من التوضيح من خلال تفسيره للآيات التي تنطوي على هذا

---

(١) لسان العرب، مادة (شبه).

(٢) مفتاح العلوم، ص١٥٧.

(٣) الإيضاح: ٢/٢١٢، والتلخيص، ص٢٣٨.

(٤) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، ص١٠٦.

اللون من البيان العربي.

١- التشبيه التمثيلي:

ورد التشبيه التمثيلي في مواضع متعددة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «كأنما» «ما» هذه مهيئة لدخول «كأنَّ» على الجمل الفعلية، كما في: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨٥]. وقرأ ابن كثير «يَصْعَدُ» ساكن الصاد مخفف العين، مضارع «صَعَدَ»، أي: ارتفع، وأبو بكر عن عاصم «يصَّاعَدُ» بتشديد الصاد بعدها ألف، وأصلها: «يتصاعد» أي: يتعاطى الصعود ويتكلفه، فأدغم التاء في الصاد تخفيفاً، والباقون: «يَصَّعَّدُ» بتشديد الصاد والعين دون ألف بينهما من «يَصْعَدُ»، أي: تفعل الصعود وتكلفه، والأصل: «يَتَصَعَّد» فأدغم، كما في قراءة شعبة. وهذه الجملة التشبيهية يحتمل أن تكون مستأنفة شبه فيها حال من جَعَلَ اللهُ صدرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً، بأنَّه بمنزلة من يطلب الصعود إلى السماء المطلقة، أو إلى مكان مرتفع وعر، كالعقَبَة الكَئُود»[(١)].

وقال البغوي: «يعني: يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء، وأصل الصعود المشقة»[(٢)]. فقد ربط البغوي بين استحالة الصعود إلى السماء

---

(١) الدر المصون: ١٧٧/٣، وينظر: النشر: ٢٩٦/٢، وإتحاف فضلاء البشير، ص٣٨٤.

(٢) معالم التنزيل: ١٨٦/٣، وتفسير السراج المنير: ٣٥٦/١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٧٧/١.

باستحالة الإيمان. وهذا المعنى لم يشهد به السَّمين الحلبي؛ لأنَّ القصد من الصورة هو تصوير الضيق والضجر الذي يصيب صدر الضال، فمثله كمثل الذي يرفع إلى مكان شاهق فيكاد يضيق نفسه ويختنق وهو دلالة على الضيق والضجر.

ومن التشبيه التمثيلي أيضاً قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي محللاً التشبيه: «وقوله: «مثل الفريقين»، يجوز أن يكون من باب تشبيه شيئين بشيئين، فقابل الأعمى بالبصير والأصم بالسميع، وهو من الطباق، وأن يكون من تشبيه شيء واحد بوصفيه بشيء واحد وحينئذٍ يكون قوله: «كالأعمى والأصم»، وقوله: «والبصير والسميع» من باب عطف الصفات كقوله:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابـــنِ الهُمَـــامِ وَلَيْثِ الكَتيبَةِ في المُزدحَم[1]»[2]

ويستعين السَّمين الحلبي بشرح الزمخشري لهذا التشبيه قائلاً: «وقد أحسن الزمخشري في التعبير عن ذلك فقال: شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع، وهو من اللف والطباق، وفيه معنيان: أن يشبه الفريقين تشبيهين اثنين، كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعنّاب، وأن يشبه بالذي جمع بين العمى والصم، أو كالذي جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو في «والأصم» والكافرين الذين هما مشابهان بقوله: «الفريقين»، ولو فسَّرهما لقال: مثل الفريقين المؤمن كالبصير، ومثل الكافر كالأعمى والأصم، وهي عبارة مشهورة في علم البيان لفظتان

(١) لم أعثر على قائله.

(٢) الدر المصون: ٨٩/٤، وينظر: الكشاف: ٣٦٧/٢.

متقابلتان اللف والنشر»[1].

وهذا رأي أبي حيان والشوكاني وغيرهم[2].

وأطلق السَّمين الحلبي أحياناً اسم التمثيل على التشبيه سائراً في ذلك على نهج المفسرين الذين سبقوه، ذاكراً أن تصاريف الكلام تدور على أن المثل التشبيه أي بمعنى: مِثْل ومثيل نحو: شِبْه وشبيه[3]. وذكر معنى المثل في الاصطلاح في كلام العرب قائلاً: «إنَّها كلمةٌ يرسلُها قائلها لحكمةٍ يُشَبِّه بها الأمور ويقابِلُ بها الأحوال»[4].

وفرق طائفة من البلاغيين والجرجاني منهم بين التشبيه والتمثيل قائلاً: «اعلم أنَّ التشبيه أو التمثيل أخصُّ منه فكلُّ تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً»[5]. أما السكاكي فيرى أن التمثيل: «ما كان الشبه فيه وصفاً غير حقيقي منتزعاً من أمورٍ عدَّة خص باسم التمثيل»[6].

وقد يجمع بين التشبيه والتمثيل أو تسمية التشبيه تمثيلاً، وذلك في مثل تفسير قوله تعالى: ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات: ٦٥]، قال السَّمين الحلبي في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: «قوله: «رؤوس الشياطين» فيه وجهان:

---

(١) المصدر نفسه: ٨٩/٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢١٤/٥، وفتح القدير: ٧١٠/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٦٤/١٠.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١١٩/٢ و١٢٩/١.

(٤) الدر المصون: ١١٩/٢، وينظر: المخصص: ٣٧٣/٣.

(٥) أسرار البلاغة، ص٧٥.

(٦) مفتاح العلوم، ص٣٤٦.

أحدهما: أنّه حقيقةٌ ورؤوسَ الشياطين شَجَرٌ بعينه بناحية اليمنِ يسمى الأسْتَنُ وقد ذكره النابغة:

تَحيدُ عن أستَنٍ سودٍ أسَـــافِلُهُ   مثلُ الإماءِ الغوادِي تحملُ الحُزَمَا[1]

وهو شجرٌ مُرٌّ منكر الصورة سمته العرب بذلك تشبيهاً برؤوس الشياطين في القُبحِ ثم صار أصلاً يُشبه به. وقيل الشياطين صنف من الحيَّاتِ... وقيل هو شجر يُقال له الصَّومُ... وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة.

والثاني: أنَّه من باب التخييل والتمثيل، وذلك أنَّ كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصور يشبه بما يتخيله الوهم وإن لم يره؛ والشياطين وإن كانوا موجودين غير مرئيين للعرب إلاَّ أنَّه خاطبهم بما ألِفوهُ من الاستعارات التخييلية...»[2].

٢- التشبيه المركب:

وهو التشبيه الذي يتحد فيه المشبه والمشبه به ويكون مركباً من شيئين أو أكثر. وهو غير التشبيه المتعدد الذي يكون جمعاً للصور التشبيهية من غير تركيب[3].

لقد تناول السَّمين الحلبي هذا النوع من التشبيه في تفسيره محللاً له وذاكراً أنواعهُ، وهذا يدل على فهمه لأنواع التشبيه، فيقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: من الآية ٢٤]: «قوله: «إنَّما مثل». هذه الجملة سيقت لتشبيه الدنيا

(١) ديوانه، ص٦٥.

(٢) الدر المصون: ٥/٥٠٦.

(٣) ينظر: أسرار البلاغة، ص١٧٦، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٢٠١.

بنبات الأرض، فقد شرح الله -تعالى- وجه التشبيه بما ذكر»[1]. وهو بعد ذلك يذكر رأي الزمخشري في الآية قائلاً: «قال الزمخشري: هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعدما التفَّ وتكاثَفَ»[2].

وهذا رأي أغلب المفسرين[3].

وبعد هذا التفسير يُبين السَّمين الحلبي التشبيه المركب وأنواعه مستعيناً بالشعر قائلاً: «قلت: التشبيه المركب في اصطلاح البيانيين: إما أن يكون طرفاه مركبين أي: تشبيه مركب بمركب كقول بشار بن برد:

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فوقَ رؤوسِنَا وأسيافَنَا ليلٌ تهاوى كَواكِبُهْ[4]

وذلك أنَّه شبه الهيئة الحاصلة من هوي أجرام مشرقة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم بليل سقطت كواكبه، وإما أن يكون طرفاه مختلفين بالإفراد والتركيب»[5].

ويذكر السَّمين الحلبي مثالاً آخر يكون من التشبيه المركب ويكون أيضاً من التشبيه المفرق[6] وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

---

(١) الدر المصون: ٢٠/٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠/٤، وينظر: الكشاف: ٣٢٥/٢.

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٧٤/٣، والبحر المحيط: ١٤٤/٥، ومدارك التنزيل: ١٢٥/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٢٩٩/١٠.

(٤) ديوانه: ٣١٨/١.

(٥) الدر المصون: ٢٠/٤.

(٦) هو ما أتى بالمشبه والمشبه به واحداً بعد الآخر. (ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢١٣/٣).

ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ [الحج: من الآية ٣١]، قال السَّمين الحلبي مستنداً إلى قول الزمخشري: «قال الزمخشري: يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المُركب والمُفرق، فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنَّه يقال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده هلاك. بأن صور حاله بصورة حال من خَرَّ من السماء فاختطفته الطير فتفرق مُزَعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هَوَت به في بعض المطاوح البعيدة، وإن كان مفرقاً، فقد شبه الإيمان في عُلوِّه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهوال التي تتورع أفكارهُ بالطير المختطِفَة، والشيطان الذي يَطُوحُ به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي به بما عصفت به في بعض المهاوي المُتلِفة، قلت وهذه العبارة من أبي القاسم مما ينشطك إلى تعلم علم البيان فإنَّها غاية في البلاغة»[(١)].

٣- التشبيه البليغ:

هو التشبيه الذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه[(٢)]، على أن يكون المشبه به خبراً عن المشبه، أو في حكم الخبر، أو مصدراً مبنياً للنوع، أو يكون المشبه به مضافاً إلى المشبه، وهذا النوع من التشبيه يأخذ المكان الأسمى بين أنواعه، ويسمى التشبيه البليغ، لأنَّ المشبه يصير عين المشبه به بلا تفاوت، وهذا أدعى للمبالغة والتوكيد. وهو مأخوذ من المبالغة بمعنى الحسن واللطف[(٣)].

---

(١) الدر المصون: ٥/١٤٦-١٤٧، وينظر: الكشاف: ٣/١٥٧.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/١٨٠.

(٣) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، ص٣٧-٣٨.

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من التشبيه في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٧]، قال السَّمين الحلبي: «وهذا من أحسن التشبيهات إذ شَبَّه بياض النهار بخيطٍ أبيضَ، وسوادَ الليل بخيطٍ أسودَ، حتى إنَّه لما ذَكَرَ عَديُّ بن حاتم لرسول الله ﷺ أنَّه فهم من الآية حقيقة الخيط تعجب منه، وقال: «إنَّ وسادَك لعريض»[1] ويروى: «إنَّك لعريض القفا»... وهذا النوع من التشبيه من الاستعارة، لأنَّ الاستعارة هي أنْ يُطوى فيها ذكرُ المُشبَّه، وهنا قد ذُكِرَ وهو قوله: «من الفجر»، ونظيره قولك: (رأيت أسداً من زيد) لو لم تذكر: (من زيد) لكان استعارةً. ولكنَّ التشبيه هنا أبلغ، لأنَّ الاستعارة لابد فيها من دلالةٍ حاليةٍ، وهنا ليس ثَمَّ دلالةٌ»[2].

وهذا الرأي ذكره أغلب العلماء[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «فتثير» عطف على «أرسل»؛ لأنَّ أرسل بمعنى المستقبل، فلذلك عطف عليه، وأتى بأرسلَ لتحقق وقوعه و«تثير» لتصور الحال واستحضار الصورة البديعية كقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب (الصيام)، باب (بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر...): ١٠٩٠: ٢/٧٦٦.

(٢) الدر المصون: ١/٤٧٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/٣٣٩، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١/٥١٤، والبحر المحيط: ١/٢١٦، ونظم الدرر: ٣/٨٧، وأسرار البلاغة، ص٢٧٨.

﴿مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: من الآية ٦٣]... والإشارة إلى إحياءِ الأرضِ بالمطرِ، والتشبيه واضحٌ بليغٌ»[١].

وقال أبو حيان: «والتشبيه وقع لجهات لما قبلت الأرض الميتة الحياة اللائقة بها، كذلك الأعضاء تقبل الحياة، أو كما الريح يجمع قطر السحاب، كذلك تجمع أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء، أو كما يسوق الرياح والسحاب إلى البلد الميت، يسوق الروح والحياة إلى البدن»[٢].

٤- تشبيه صورة بصورة:

قال ابن الأثير الحلبي: «إنَّ التشبيه لا يخلو من ثلاثة أحوال: تشبيه معنى بصورة وتشبيه معنى بمعنى، وتشبيه صورة بصورة كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن: ٢٤] فشبَّه صورة أجسام الفلك في عظمها بالجبال»[٣].

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع من التشبيه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «وهي دخان» من باب التشبيه الصوري؛ لأنَّ صورتها صورة الدخان في رأي العين»[٤].

وقال ابن عاشور: ««وهي دخان» تشبيه بليغ أي: وهي مثل الدخان»[٥].

---

(١) الدر المصون: ٥/٤٦٠.

(٢) البحر المحيط: ٧/٢٨٨.

(٣) جوهر الكنز، ص٦٠، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/١٩٥.

(٤) الدر المصون: ٦/٥٨.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٥/٢٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٧/١٠٨.

٥- تشبيه المعقول بالمحسوس:

هو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وذلك أن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيّاً[١]. ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «وهذا التشبيه أحد الأقسام، وهو تشبيه أمر معقول بأمر محسوس، وذلك أنَّه شبه عمى البصيرة بعمى البصر، وصم السمع ذاك متردد في ظلم الضلالات، كما أنَّ هذا متحيز في الطرقات، وهذه فوائد علم البيان»[٢].

وهذا ما ذكره أبو حيان[٣].

◈ مجيء الكاف صفة أو حالاً:

وردت الكاف في القرآن الكريم في آيات كثيرة، والكاف بلاغياً أداة رئيسة من أدوات التشبيه وأعربها النحويون بحسب معناها في طائفة من الآيات صفة أو حالاً معتمدين على وجهة نظرهم المعنوية للآية.

وقد ذكر السَّمين الحلبي بعض المواطن للكاف منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ﴾ [النساء: من الآية ٧٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «كخشية الله» فيه ثلاثةُ أوجه، أحدها: وهو المشهور عند المُعربين: أنَّها نعت لمصدر محذوف، أي: خشيةً كخشية الله... قال الزمخشري: فإن قلت لِمَ عَدَلْتَ عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر و لم تقدِّرْه:

---

(١) حسن التوسل، ص١٠٨، ونهاية الإرب: ٤٠/٧، وخزانة الأدب، ص١٨٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٠٦/٢.

(٢) الدر المصون: ٩٠/٤.

(٣) البحر المحيط: ٢١٤/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٤٦٥/١٠.

يخشون خشيةً مثل خشية الله بمعنى: مثل ما يخشى الله. قلت: أين ذلك قوله: «أو أشد خشية»؛ لأنَّه وما عُطِفَ عليه في حكمٍ واحدٍ، ولو قلت: «يخشون الناسَ أشدَّ خشيةً» لم يكن إلاَّ حالاً من ضمير الفريق، ولم ينتصب انتصابَ المصدر؛ لأنَّك لا تقول: «خَشِي فلانٌ أشدَّ خشيةً» فتنصِبُ «خشية» وأنت تريد المصدر، إنَّما تقول: «أشد خشية» فتجرها، وإذا نصبتها لم يكن «أشدَّ خشيةً» إلاَّ عبارة عن الفاعلِ حالاً منه، اللهم إلاَّ أن تجعل الخشية خاشيةً على حد قولهم: «جَدَّ جَدُّه» فتزعم أن معناه: يخشون الناسَ خشيةً مثل خشية أشدَّ خشيةً من خشية الله، ويجوز على هذا أن يكون محلُّ «أشدُ» مجروراً عطفاً على «خشية الله» تريد كخشية الله أو كخشية أشدَّ منها»[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: من الآية ٧١]، فذكر البقاعي وجهين في تفسير كاف التشبيه ودلالة كل وجه من دون الترجيح بينهما قائلاً: «قوله: «كالذي استهوته» في هذه الكاف وجهان، أحدهما: أنه نعت مصدر محذوف أي: نُرَدُّ رَدَّاً مثل ردَّ الذين. والثاني: أنها في محل نصب على الحال من مرفوع «نرد» أي: نُرَدُّ مشبهين الذي استهوته الشياطين، فمن جوَّز تعدُّدَ الحال جعلها حالاً ثانية إن جعل «على أعقابنا» حالاً، ومَنْ لم يُجوِّز ذلك جعل هذه الحال بدلاً من الحالِ الأولى، أو لم يجعل «على أعقابنا» حالاً، بل متعلِّقاً بـــ«نرد»»[2].

وهذا ما ذهب إليه ابن جزي[3].

---

(١) الدر المصون: ٢/٣٩٦-٣٩٧، وينظر: الكشاف: ١/٥٦٨، والبحر المحيط: ٣/٣١٠.

(٢) الدر المصون: ٣/٩٣-٩٤.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٣٦٥.

المبحث الثاني

المجاز

المجاز لغةً: قال ابن منظور: «جِزْتُ الطريق وجَازَ الموضِعُ جَوازاً، وجازَ بهِ وجَاوزَه وأجازَهُ غيرَهُ وجازَهُ وجاوَزَهُ وأجازَ غيرُه، وجازَهُ: سارَ فيهِ وسَلَكَهُ وجاوزت الموضِعَ جوَازاً بمعنى جِزتَهُ. والمجازُ والمجازَةُ الموضِعُ»[1].

وفي الاصطلاح فقد عرَّفه الجرجاني قائلاً: «المجاز مِفْعَل من جازَ الشيءَ يجوزَه إذا تَعدَّاه، وإذا عَدَلَ باللفظِ عمَّا يوجبه أهل اللغة وصفه بأنَّه مجاز على معنى أنَّهم جاوزوا به موضِعَهُ الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع أولاً»[2].

وقال أيضاً: «أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها لملاحظة بين ما تجوز به إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز»[3].

وعرَّف السكاكي المجاز بقوله: «وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع»[4].

---

(١) لسان العرب، مادة (جوز).

(٢) أسرار البلاغة، ص٣٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٠٤.

(٤) مفتاح العلوم، ص٣٥٩.

◈ **أقسام المجاز عند البلاغيين:**

قسَّم البلاغيون المجاز على قسمين: المجاز العقلي، والمجاز اللغوي، ويعد الإمام عبد القاهر الجرجاني أول مَنْ وقف عليه، وقسَّمه هذا التقسيم، فالعقلي هو الذي يعتمد على الإسناد، واللغوي نوعان: الأول: يقوم على المشابهة، وهو ما يسمى بالاستعارة، والثاني: يقوم على صلة وملابسة ما نقلهما إليه وما نقله عنه، ويسمى هذا بالمجاز المرسل[1].

◈ **أقسام المجاز:**

أولاً: المجاز العقلي:

وهو من الألوان البلاغية التي أشار القدماء إلى معناه، من دون ذكر اسم هذا المجاز، فسيبويه أورد قول الخنساء المتضمن المجاز العقلي:

ترعى إذا نسيت حتى إذا أدركَتُ فإنَّما هـــي إقبـــالٌ وإدبـــارٌ

وكقولهم: (نهارك صائم) و(ليلك قائم)[2]. فسيبويه يحمل هذا الكلام على السِّعة والحذق.

وإذا ما عدنا إلى الأمثلة السابقة وجدنا أنَّ النهار أُسند إليه الصيام مجازاً على الرغم من أنَّ الصيام يجب أن يسند إلى الكاف أي: الصائم أو الإنسان، وكذلك ليلك قائم فالقيام للإنسان وليس لليل.

وكان الجرجاني أول من أطلق عليه هذه التسمية قائلاً: «كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول فهي مجاز»[3]،

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة، ص٣٧٦.

(٢) ينظر: الكتاب: ١/١٦٩، و٨٠، ٨٩، ١٠٨، ١١٠.

(٣) أسرار البلاغة، ص٣٥٦.

وذكر تسميته باسم المجاز العقلي، أو المجاز الحكمي، أو المجاز في الإثبات، أو الإسناد المجازي، ذاكراً أمثلة على ذلك وناقشها، وبيَّن فيها مواضع المجاز[1].

والمشهور من بين هذه التسميات عند علماء البلاغة هو (المجاز العقلي)، وقد أطلق عليها السكاكي المجاز العقلي، وكذلك فعل القزويني والتفتازاني[2].

قال القزويني فيه: «فهو إسناد الفعل، أو معناه إلى ملابس له، غير ما هو له بتأوّل»[3]، وذكر هذه الملابسات قائلاً: «وللفعل ملابسات شتى، يلابس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان، والسبب»[4]، وهذه الملابسات هي علاقات المجاز العقلي.

◈ علاقات المجاز العقلي عند السَّمين الحلبي:

تناول السَّمين الحلبي في تفسيره علاقات المجاز العقلي بأنواعها المختلفة والتي ذكرها علماء التفسير والبلاغة الذين سبقوه، وذكر لها أمثلة وافية مع الدقة في التحليل والتوضيح، وهذا يدل على فهمه الدقيق لعلاقات المجاز العقلي، وهي:

١- المفعولية (ما بني للفاعل وأسند إلى المفعول):

أشار السَّمين الحلبي إلى هذه العلاقة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ**﴾ [هود: من الآية ٤٣]، قال السَّمين الحلبي: «أنَّ

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص٢٢٧، وأسرار البلاغة، ص٣١٦-٣١٧.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٨٥، والإيضاح: ٩٧/١، وتهذيب السعد: ٩٥/١.

(٣) الإيضاح: ٢٢/١.

(٤) المصدر نفسه: ٢٢/١.

«عَاصِمَ» بمعنى معصوم، وفاعل قد يجيء بمعنى مفعول نحو: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: من الآية ٦]، أي: مدفوق، وأنشد:

بَطِيءُ القيـــام رَخِـــيمُ الكَـــلا مِ فأمسَى فُؤادِي بِـــهِ فَاتِنَـــا[١]

أي: مفتوناً، و«من» يراد بها المعصوم، والتقدير: لا معصوم اليوم من أمر الله إلاَّ من رحمه الله، فإنه يعصم»[٢]. وهذا ما قاله أكثر المفسرين[٣].

٢- الفاعلية (ما بني للمفعول وأسند إلى الفاعل):

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «مستوراً»... أنه بمعنى فاعل كقولهم: مَشْئُومٌ، وميمونٌ، بمعنى: شائم ويأمن. وهذا كما جاء اسم الفاعل بمعنى مفعول»[٤].

وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين[٥].

---

(١) لم أعثر على قائله.

(٢) الدر المصون: ١٠٢/٤.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١٩٠/٣، وإرشاد العقـــل الـــسليم: ٢١١/٤، والكـــشاف: ٣٧٥/٢، ومدارك التنزيل: ١٥٥/٢، والكشف والبيان: ١٧١/٥، والبحر المحـــيط: ٢٢٧/٥، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤٩٩/١، واللباب في علوم الكتاب: ٤٩٦/١٠.

(٤) الدر المصون: ٣٩٥/٤.

(٥) ينظر: جامع البيان: ٤٥٧/١٧، المحرر الوجيز: ٤٧٤/٣، ومعالم التنزيل: ٩٧/٥، وإرشاد العقل السليم: ١٧٥/٥، وتفسير القـــرآن العظـــيم: ٨٢/٥، والـــوجيز للواحدي: ٦٣٦/١، والبحر المحيط: ٣٩/٦، وإملاء ما من به الـــرحمن: ٩٢/٢، وتفسير الجلالين: ٣٧٠/١، والمزهر: ٢٦٧/١، واللبـــاب في علـــوم الكتـــاب: ٤٠١/١٢، وأيسر التفاسير: ١٩٩/٣.

٣- الزمانية (ما بني للفاعل وأسند إلى الزمان):

ومن أمثلة هذه العلاقة ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَن لَّا نَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ [هود: ٢٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أليم» إسناد الألم إلى «اليوم» مجازاً لوقوعه فيه لا به. وقال الزمخشري: «فإذا وصف به العذاب» قلت: مجاز، لأنَّ الأليم في الحقيقة هو المعذب، ونظيرهما قولك: نَهَارُكَ صَائِمٌ»[(١)].

ويضيف السَّمين الحلبي على ما سبق، وما نقله من أبي حيان قائلاً: «قال الشيخ: وهذا على أن يكون «أليم» صفة مبالغة من «آلم» وهو من كثرة ألمه، وإن كان أليم بمعنى مؤلم فنسبته لليوم مجاز وللعذاب حقيقة»[(٢)]. وهذا رأي أبي السعود والبيضاوي والنسفي[(٣)].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: من الآية ٣٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بل مكر الليل» يجوز رفعه من ثلاثة أوجه: أحدها: الفاعلية تقديره بل صدَّنا مكرُكُمْ في هذين الوقتين. الثاني: أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي: مَكْرُ الليل صَدَّنا. الثالث: العكس أي: سَبَبُ كُفرِنَا مكركم وإضافة المكر إلى الليل والنهار إما على الإسناد المجازي كقولهم: ليلٌ ماكرٌ، فيكون مصدراً مضافاً لمرفوعه وإما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون

---

(١) الدر المصون: ٩١/٤، وينظر: الكشاف: ٣٦٧/٢.

(٢) الدر المصون: ٩١/٤، وينظر: البحر المحيط: ٢١٤/٥.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٠٠/٤، وأنوار التنزيل: ٢٢٩/٣، ومدارك التنزيل: ١٥١/٢.

مضافاً لمنصوبه. وهذان أحسن مِنْ قولِ مَنْ قال إنَّ للإضافة بمعنى: في أي في الليل، لأنَّ ذلك لم يثبُتْ في غير محل التراع»[1].

وهذا رأي أبي السعود والزمخشري وغيرهم[2].

٤- المكانية (ما بني للفاعل وأسند إلى المكان):

نحو قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «تجري من تحتها الأنهار»... والنهر دون البحر وفوقَ الجدولِ، وهل هو مجرى الماء أو الماءُ الجاري نفسه؟ والأول أظهر، لأنَّه مشتقٌّ من نَهَرْت أي: وسَّعتُ، قال قيس بن الخطيم يصفُ طعنة:

مَلَكْتُ بها كَفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَها[3] .....

أي: وسَّعْتَ، ومنه: النهارُ لاتساع ضوئه، وإنَّما أُطلقَ على الماءِ مجازاً إطلاقاً للمحلِّ على الحالِّ»[4].

وقال البغوي: «أي: المياه في الأنهار؛ لأنَّ النهر لا يجري»[5]، وصرح أبو السعود بلفظ المجاز العقلي بقوله: «وقد أسند إليها الجريان مجازاً عقلياً»[6].

---

(١) الدر المصون: ٤٤٨/٥.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٣٤/٧، والكشاف: ٥٩٤/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٥٢/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٦٩/١٦.

(٣) ديوانه، ص١٨، وعجزه: يرى قائمٌ من دونها ما وراءها.

(٤) الدر المصون: ١٥٩/١.

(٥) معالم التنزيل: ٧٣/١.

(٦) إرشاد العقل السليم: ٦٩/١، وينظر: أنوار التنزيل: ٢٤٦/١.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ [يونس: من الآية ٩٨]، قال السَّمين الحلبي: «... المسموع كون القرى يراد بها أهليها من باب إطلاق المحل على الحال»[١]. وهذا رأي أكثر المفسرين[٢].

وأمثلته متعددة[٣].

٥- المصدريّة (ما بني للفاعل وأسند إلى المصدر مجازاً):

نحو قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بشيء» متعلقٌ بـــ«يحيطون» والعلمُ هنا بمعنى المعلوم؛ لأنَّ علمَه تعالى الذي هو صفة قائمة بذاته المقدَّسة لا يتبعَّضُ، ومن وقوع العلم موقعَ المعلوم قولهم: (اللهم اغفر لنا عِلمَك فينا) وحديث موسى والخضر -عليهما السلام- «ما نَقَص علمي وعلمك من علمه إلاَّ كما نقص هذا العصفور من هذا البحر»[٤] ولكون العلم بمعنى المعلوم صح دخول التبعيض، والاستثناء عليه»[٥].

---

(١) الدر المصون: ٤/٧٠.

(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٤/١٥١، والتفسير الكبير: ١٧/١٣٢، والكشاف: ٢/٣٥٢، وأنوار التنزيل: ٣/٢١٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/٦١٣، والتسهيل في علوم التنزيل: ١/٤٩٠، وتفسير الجلالين: ١/٨١، وتفسير السراج المنير: ٢/٣٢، وفتح القدير: ٢/٦٨٦، واللباب في علوم الكتاب: ١/٤١٤.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٥/١٧٦، ٦/١٤٩، و٦/٥٤٧.

(٤) صحيح البخاري: كتاب (العلم)، باب (ما يستحب للعالم إذا سئل الناس أعلم...): ١٢٢: ١/١٢٧.

(٥) الدر المصون: ١/٦١٤.

وقال القرطبي: «العلم هنا بمعنى المعلوم، أي: لا يحيطون بشيء من معلوماته»[1] وهذا ما ذكره بعض المفسرين[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، قال السَّمين الحلبي: «و«ربنا» فاعل بـــ«تعالى» وهو المنقول من الفاعلية؛ إذ التقدير: تعالى جد ربنا ثم صار تعالى ربنا جداً. أي: عظمة، نحو: تصبب زيد عرقاً. أي: عرق زيد»[3].

وقال البقاعي: ««جد» أي: عظمة وسلطان وكمال غنى»[4]، وهذا رأي الشربيني وابن عادل[5].

٦- السببيّة (ما بني للفاعل وأسند إلى السبب مجازاً):

كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، قال السَّمين الحلبي: «والشراءُ هنا مجازٌ من الاستبدال بمعنى أنَّهم لما تركوا الهدى، وآثروا الضلالة، جُعِلوا بمنزلة المشترين لها بالهدى، ثم رُشِّح هذا المجازُ بقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ فأسند الربح إلى التجارة، والمعنى: فما ربحوا في تجارتهم، ونظيرُ هذا الترشيح قول الآخر:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٦/٣.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: ١٢٤/١، وفتح القدير: ٤١٠/١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٢١/٤، وروح المعاني: ١٢/٣، والتحرير والتنوير: ٤٩٧/٢.

(٣) الدر المصون: ٣٩٠/٦-٣٩١.

(٤) نظم الدرر: ١٩٣/٨.

(٥) ينظر: تفسير السراج المنير: ٢٩٠/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٤١٣/١٩.

بكَى الخزُّ من روحٍ وأنكرَ جلدَه وعجَّتْ عجيجاً مِنْ جُذامَ المَطارِفُ[1]

لما أسند البكاء إلى الخَزِّ من أجل هذا الرجل -وهو رَوْحٌ- وإنكاره لجلده مجازاً رشحه بقوله: «وعَجَّت المَطارِف من جُذام» أي: استغاثت الثياب من هذه القبيلة.

وقول الآخر:

ولَّما رأيتُ النَّسرَ عَزَّ ابنُ دايَــةٍ وعَشَّشَ في وكرَيْهِ جاشَ لهُ[2]

لما جعل النسر عبارة عن الشيب، وابن داية وهو الغراب عبارة عن الشباب مجازاً رشَّحه بقوله: «وعَشَّشَ في وكريه»»[3].

وهذا رأي ابن عطية الذي قال: «وقوله: «فما ربحت تجارتهم» للمثل بما يشبه مبدأه في لفظة الشراء وأسند الربح إلى التجارة كما قالوا ليلٌ قائمٌ ونهارٌ صائم، والمعنى فما ربحوا في تجارتهم»[4]، وبهذا الرأي قال أكثر المفسرين[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، قال السَّمين الحلبي: «وعزم الأمر على

---

(١) البيت لحميدة بنت النعمان، ينظر: البيان والتبين: ١/١٥٣.

(٢) البيت لابن المعتز، وهو في ديوانه: ٢/٤٣.

(٣) الدر المصون: ١/١٢٧-١٢٨.

(٤) المحرر الوجيز: ١/٨٦.

(٥) ينظر: معالم التنزيل: ٦٨٨، والجامع لأحكام القرآن: ١/٢١١، ومدارك التنزيل: ١/٢١، ولباب التأويل: ١/٣٥، والتسهيل في علوم التنزيل: ١/٧٣، وبحر العلوم: ١/٥٥، وزهرة التفاسير: ١/١٤٠، والتحرير والتنوير: ١/٢٩٥.

سبيل الإسناد المجازي»[1].

وهذا رأي أغلب المفسرين[2]، قال الزمخشري: «أي: جدّ. والعز والجد لأصحاب الأمر. وإنما يسندان إلى الأمر إسناداً مجازياً»[3].

وأمثلته متعددة[4].

ثانياً: المجاز اللغوي:

وهو على نوعين:

أ – الاستعارة:

وهي لغةً: مأخوذة من العارية أي: نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المُعار إليه. والعارية والعارة: ما تداولوه بينهم، وقد أعار الشيء أعارَهُ منه عاوَرَهُ إيَّاه. والمُعاوَرة والتعاور شبه المداولة والتداول يكون بين اثنين. وتعوَّر واستعار: طلب العارية[5].

ومن استقراء ما أثر عن علماء البيان نرى –فيما نعلم– أن أول من سبق إليها وأطلق عليها اسم الاستعارة هو أبو عمرو بن العلاء. قال ابن رشيق: «وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة يقصد قول

---

(١) الدر المصون: ١٥٥/٦.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٩٨/٨، والتفسير الكبير: ٥٥/٢٨، ومدارك التنزيل: ١٩٤/٥، والتسهيل في علوم التنزيل: ٤٩/٣، وتفسير السراج المنير: ١٠/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٤٥٤/١٧.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٢٧/٤.

(٤) ينظر: الدر المصون: ١٢٣/٤، ١٥٥/٦، ٢٠١/٦، ٢٩٣/٦.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (عور).

ذي الرمة:

أقامتْ به حتى ذَوَى العودُ والتوى ولَفَّ الثريَّا في مُلاءَته الفجرُ[1]

ويقول: ألا ترى كيف صير له ملاءة، ولا ملاءة له، وإنما استعار له هذه اللفظة»[2].

لكن الجاحظ أول من عرف الاستعارة كفَّنٍ بلاغي قائلاً: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه»[3]. وأطلق عليها اسم المثل والبديع عند تعليقه على بيت الأشهب بن رميلة:

هُم ساعد الدهرِ الذي يُتقى به وما خير كَفٍّ لا تنوء بساعِده

قال: «قوله: (هم ساعد) إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع»[4].

ومن البلاغيين الذين نقدوا هذه التسمية وفضلوا استعمال لفظ الاستعارة المظفر العلوي عندما قال: «وكان القدماء يسمونها الأمثال فيقولون: (فلان كثير الأمثال). ولقبها بالاستعارة ألزم، لأنَّه أعم، ولأنَّ الأمثال كلها ليس تجري مجرى الاستعارة»[5].

وكان الجرجاني أدقُّ من عرَّف الاستعارة قائلاً: «الاستعارة أنْ تريد تشبيه الشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبِّه به فتُعيرهُ المشبَّه وتجريه عليه»[6].

---

(١) ديوانه: ١٢١

(٢) العمدة: ١/١٨١، وينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص١٥٨-١٥٩.

(٣) البيان والتبيين: ١/١٥٣، ٢٨٤، والحيوان: ٢/٢٨٠-٢٨٣.

(٤) البيان والتبيين: ١/٣٦١.

(٥) نضرةُ الأغريض، ص١٣٣-١٣٤.

(٦) دلائل الإعجاز، ص٥٣.

وقد بحثها السكاكي تحت (علم البيان) قائلاً فيها: «الاستعارة: هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدَّعياً دخول المشبّه في جنس المشبّه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخص المشبه به»[1]. وكان هذا إيذاناً بوضعها جزءاً من مباحث هذا العلم الذي جعله أحد العلوم الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) وهكذا أخذت الاستعارة وضعها في علم البيان.

والاستعارة ثلاثة أركان، وهي: المستعار منه، وهو المشبه به والمستعار له وهو المشبه والمستعار ويقصد به اللفظ المنقول.

وقسَّم الجرجاني الاستعارة إلى مقيدة وغيره مقيدة[2]. ثم جاء القزويني والسكاكي وقسَّما الاستعارة على أنواع متعددة سنتعرف عليها عند السَّمين الحلبي الذي كان اهتمامه كبيراً بالاستعارة في تفسيره، فقد عرّفها بقوله: «الاستعارة هي أنْ يطوى فيها ذكر المشبه»[3]، وقد أورد لها أمثلة كثيرة في تفسيره، مُحللاً لها وعلق عليها تعليقاً يتسم بالوضوح والدقة، إلاَّ أنه لم يُصرح بنوع الاستعارة المفادة منها، ماعدا تصريحه بنوع واحد منها فقط وهي الاستعارة الترشيحية التي سأذكرها في الصفحات القليلة القادمة، ونقف الآن على بعض الأمثلة التي ذكرها:

ففي قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: من الآية ١١٢]، قال السَّمين الحلبي معتمداً على رأي الزمخشري: «ووجه الاستعارة ما قاله الزمخشري: فإن قلت: الإذاقة واللباس استعارتان، فما وجه

(١) مفتاح العلوم، ص١٧٤.

(٢) ينظر: أسرار البلاغة، ص٢٢.

(٣) الدر المصون: ٣٦١/٤.

صحتهما؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، فما وجه صحة إيقاعها عليه؟ قلت: الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة، لشيوعها في البلايا والشدائد، وما يمس الناس منها، فيقولون: ذاق فلان البؤْسَ والضَّرَّة، وإذاقة العذاب: شبه ما يدرك من أثر الضَّرَرِ والألم بما يدرك من طَعْم المر والبشع، وأما اللباس فقد شبه به، لاشتماله على الملابس: ما غَشِي الانسانَ والتبس به من بعض الحوادث، وأما إيقاع الإذاقة على «لباس الجوع والخوف» فلأنَّه لما وقع عبارة عما يغشى عنهما ويلابس، فكأنه قيل: أذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف، ولهم في ذلك طريقان:

أحدهما: أن ينظروا فيه إلى المستعار له، كما نظر إليه ههنا، ونحو قول كثير:

غمرُ الرِّدَاءِ إذا تَبَسَّمَ ضـــاحكاً غلقتْ لضحكتِهِ رِقَابُ المالِ[1]

استعار الرداء للمعروف، لأنَّه يصون عِرْضَ صاحبه، صون الرداء لما يلقى عليه، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال، لا وصف الرداء نظراً إلى المستعار له.

والثاني: أن ينظر إلى المستعار، كقوله:

يُنازِعُني ردائِي عبـــدُ عَمْـــرو رُويدَكَ يا أخَا عمرو بِنْ بَكرِ[2]

لِيَ الشَّطرُ الذي ملكَتْ يمينِـــي ودونكَ فاعتُجِزْ منـــه بـــشَطْرِ

أراد برداء سيفه، ثم قال: فاعتجر منه بشطر. فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار، ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقال: فكساهم لباس الجوع، ولقال

---

(١) ديوانه، ص٢٨٨.

(٢) لم أعثر على قائلهما.

كثير: صافي الرداء إذا تبسم»[1].

وصرح أبو السعود أن الاستعارة هنا هي استعارة تجريدية[2]، قائلاً: «شبه أثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي اللابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذاقة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: من الآية ٤]، قال السَّمين الحلبي معتمداً على رأي الزمخشري: «شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر، وفُشُوِّهِ فيه، وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزاً، ولم يضف الرأس، اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمِنْ ثَمَّ فَصُحَتْ هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة»[4]. ثم حدد السَّمين الحلبي نوع الاستعارة قائلاً: «وهذا من استعارة محسوس بمحسوس، ووجه الجمع الانبساط والانتشار»[5].

---

(١) الدر المصون: ٣٦٢/٤-٣٦٣، وينظر: الكشاف: ٥٩٦/٢.

(٢) وتسمى المجردة، وهي الاستعارة التي تقترن بما يلائم المستعار له، (ينظر: المصباح، ص٦٦، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١٥٠٨).

(٣) ارشاد العقل السليم: ٢٦١/٥.

(٤) الدر المصون: ٤٩١/٤، وينظر: الكشاف: ٦/٣.

(٥) المصدر نفسه: ٤٩١/٤. وهي الاستعارة التي يشترك المحسوسان في الذات ويختلفا في الصفات كاستعارة الطيران لغير ذي جناح في السرعة فإن الطيران والعدد يشتركان في الحقيقة وهي الحركة الكائنة إلاَّ أن الطيران أسرع. (ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٦٩/١).

والملاحظ أن أغلب العلماء ذكروا الاستعارة في الآية الكريمة دون تحديد نوعها[1].

وصرح السَّمين الحلبي بالاستعارة الترشيحية[2] وذلك في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ [البقرة: من الآية ١٦]، قال السَّمين الحلبي: «والشراءُ هنا مجازٌ عن الاستبدال بمعنى أنَّهم لما تركوا الهدى، وآثروا الضلالة، جُعلوا بمنزلة المشترين لها بالهدى، ثُم رُشِّح هذا المجاز بقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ فأسند الربح إلى التجارة، والمعنى: فما ربحوا في تجارتهم، ونظير هذا الترشيح قول الآخر:

بَكَى الخَزُّ مِنْ رَوحٍ وأنكرَ جِلدَه وعجَّتْ عجيجاً مِنْ جُذامَ المَطارِفُ[3]

لما أسند البكاء إلى الخَزِّ من أجل هذا الرجل -وهو روحٌ- وإنكاره لِجلده مجازاً رشَّحه بقوله: (وعَجَّت المَطارِف من جُذام) أي: استغاثت الثياب من هذه القبيلة. وقول الآخر:

ولَّما رأيتُ النَّسرَ عَزَّ دايةٍ وعَشَّشَ في وكريهِ جاشَ لهُ صدري[4]

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة، ص٢٠١، والكشاف: ٦/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٧٧/١١، والبحر المحيط: ١٦٢/٦، وأنوار التنزيل: ٤/٤، ونظم الدرر: ٥٢٠/٤، وخزانة الأدب: ١٠٩/١.

(٢) هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه، أو هي أن يراعي جانب المستعار ويولي ما يستدعيه ويضم إليه ما يقتضيه. (ينظر: نهاية الإيجاز، ص٩٢، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١٥٣/١).

(٣) البيت لحميدة بنت النعمان.

(٤) البيت لابن المعتز، وهو في ديوانه: ٤٣/٢.

لما جعل النسر عبارة عن الشيب، وابن داية وهو الغراب عبارةً عن الشباب مجازاً رشَّحه بقوله: (وعشَّشَ في وكريه)»[1].

قال أبو السعود في بيان هذه الاستعارة: «وأصاب الربح وإسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران إليها وهو لأربابها على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الأشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته إلى ما يلابسهم وإيرادهما أثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسارة التجارة الذي يتحاشا عنه كل أحد للإشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك أن التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من إيثار الضلالة على الهدى وتمرُّنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة؛ إذ ليس من ضروريات الترشيح أن يكون باقياً على الحقيقة تابعاً للاستعارة لا يقصد به إلاَّ تقويتها...»[2].

ومن أمثلة الاستعارة عند السَّمين الحلبي مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، قال السَّمين الحلبي: «السُّكُوتُ والسُّكاتُ: قطع الكلام، وهو هنا استعارة بديعية، قال الزمخشري: هذا مثل كأنَّ الغضب كان يغريه على ما فعل، ويقول له: قل لقومك: كذا، وألقِ الألواحَ، وخُذْ برأس أخيك إليك، فترَكَ النطق بذلك، وترك الإغراء به. ولم يستحسن هذه الكلمة، ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلاَّ لذلك، ولأنَّه

(١) الدر المصون: ١/١٢٧-١٢٨.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١/٤٩.

من قبيل شعب البلاغة، وإلا فما لقراءة معاوية بن قُرَّة «ولَمَّا سَكَنَ» بالنون، لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة، وطرفاً من تلك الروعة»[1].

وهذا استعارة شيء معقول لشيء معقوله[2] لاشتراكهما في وصف عدمي أو ثبوتي، وأحدهما أكمل من ذلك الوصف، فيتزل الناقص متزل الكامل[3].

قال الرازي: «إنَّ هذا الكلام خرج على قانون الاستعارة كأنَّ الغضب كان يقويه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وكذا وألق الألواح وخذ برأس أخيك إليك فلما صار الغضب صار كأنَّه سكت»[4].

وقد أكثر السَّمين الحلبي من ذكر الاستعارة في تفسيره[5].

ب- المجاز المرسل:

وهو أحد أنواع المجاز اللغوي، وعرَّفه القزويني بقوله: «هو ما كانت

---

(١) الدر المصون: ٣/٣٤٩-٣٥٠، وينظر: الكشاف: ٢/١٥٤.

(٢) هو أن يستعار شيء معقول لشيء معقول لاشتراكهما في وصف عدمي أو ثبوتي، وأحدهما أكمل في الوصف فيتزل الناقص متزلة الكامل كاستعارة العدم للوجود إذا اشتركا في عدم الفائدة، أو استعارة اسم الوجود للعدم إذا بقيت آثاره المطلوبة منه كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما في عدم الإدراك والعقل. (ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/١٧٢).

(٣) ينظر: نهاية الإرب في فنون الأدب: ٧/٥٠.

(٤) التفسير الكبير: ١٥/١٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/٣٢٣.

(٥) ينظر على سبيل الذكر لا الحصر: الدر المصون: ٢/١٨٤، ٢/٤٠٤، ٣/٤٤، ٣/١٦٤، ٤/٣١٤، ٤/٣٨٥، ٤/٤٣٤، ٥/٤٧٣، ٥/٤٧٦، ٥/٥٢٧، ٦/٢١، ٦/١٧٦، ٦/٢٤٢، ٦/٣٢٦، ٦/٣٤٢، ٦/٤٠٥، ٦/٤٥١، ٦/٤٦٢، ٦/٥٠٣.

العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسةً غير التشبيه»[1] وهو بذلك أخرج المجاز المرسل من التشبيه.

ويعد السكاكي أول من أطلق عليه هذا الاسم[2]، وذلك عندما قال: «وغير معناها في المجاز: إما أن يقدر قائماً مقام بوساطة المبالغة في التشبيه، أو لا يقدر؛ والأول: هو الاستعارة، والثاني هو المجاز المرسل»[3].

وسمي هذا النوع مرسلاً؛ لأنَّ الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيَّد بادعاء أن المشبه من جنس المشبه به، والمرسل مطلق ومحرر من هذا القيد: «وقيل إنَّما سمي مرسلاً لإرساله على التقييد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري فإنه بعلاقة هي المشابهة»[4].

والمجاز المرسل -ككل مجاز- يوسع اللغة، كما يساعد على الافتتان في التعبير. وتدعو إليه المبالغة في المعنى، والإيجاز في العبارة، كما في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ [البقرة: من الآية ١٩] فقد عبر بالأصابع بدلاً من أطرافها، إشعاراً بشدة فزع المنافقين لدرجة أنهم يدسون الإصبع كلها اتقاءً لذلك[5].

◈ علاقات المجاز المرسل عند السَّمين الحلبي:

تناول السَّمين الحلبي المجاز المرسل بالتحليل والدراسة للوصول إلى

---

(١) الإيضاح: ٣٩٧/٢، والتلخيص، ص٢٩٥.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٠٦/٣.

(٣) مفتاح العلوم، ص٤١٤.

(٤) حاشية الدسوقي: ٢٩/٤.

(٥) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص١٥٥.

المقتضى البلاغي لهذا النوع أو ذاك، ومن أنواع المجاز التي ذكرها في تفسيره.

١- الجزئيّة (إطلاق الجزء وإرادة الكل)

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤]، قال السَّمين الحلبي: «و«كلمة» مفسَّرةٌ بما بعدها من قوله: «ألا نعبدَ» فالمراد بها كلامٌ كثير، وهذا مِنْ بابِ إطلاق الجزء والمرادُ به الكل، ومنه تسميتهم القصيدة جمعاً: قافية، والقافية جزءٌ منها، قال:

أُعَلِّمُه الرماية كُلَّ يومٍ ... فلمَّا اشتدَّ ساعِدُه رَمَانِي[١]

وكَمْ علَّمتُه نظمَ القَوَافِي ... فلمَّا قالَ قافيَةً هجانِي

ويقولون: «كلمةُ الشهادة» يعنون: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، وقال رسول الله ﷺ: «أصدقُ كلمة قالها شاعر كلمةُ لبيد»[٢] يريد قوله:

ألا كُلَّ شيءٍ ما خَلا اللهُ باطِلُ ... وكُلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائِلُ[٣]»[٤]

وهذا رأي أبي حيان وغيره[٥].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: من الآية ٣٤]، قال

---

(١) البيتان لمعن بن أوس أو مالك بن فهم أو عقيل بن علفة، وهما في شواهد الألفية: ١/٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب (الشعر): ٢٢٥٦: ٤/١٧٦٨. وتكملة الحديث: «ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكاد أمية ابن أبي الصلت أن يُسلِمَ».

(٣) ديوانه، ص٢٥٦.

(٤) الدر المصون: ٢/١٢٤-١٢٥.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٢/٥١٣، واللباب في علوم الكتاب: ٥/٢٩٤.

السَّمين الحلبي: «قوله: «ولا ينفقونها»... وقيل: يعود على المكنوزات ودل على هذا جُزؤُه المذكور؛ لأنَّ المكنوز أعمُّ من النقدين وغيرهما، فلما ذكر الجزءَ دلَّ على الكل، فعاد الضميرُ جمعاً بهذا الاعتبار»[1]. وهذا ما ذكره ابن عادل الدمشقي[2].

٢- الكلية (إطلاق الكل وإرادة الجزء):

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦]، قال السَّمين الحلبي: «والخرطوم: الأنف، وهو هنا عبارة عن الوجه كله، من التعبير عن الكل بالجزء؛ لأنَّه أظهر ما فيه وأعلاه»[3].

وقال الفراء: «أي: سنسمه سمة أهل النار، أي: سنسوِّد وجهه، فهو وإن كان الخرطوم قد خُصَّ بالسمة فإنه في مذهب الوجه، لأنَّ بعض الوجه يؤدي عن بعض»[4].

٣- المُسببيّة (ذكر المُسبِّب وإرادة السبب)

قال السَّمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: من الآية ٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وأنزل لكم من الأنعام» عطف على «خلقكم» والإنزال يحتمل الحقيقة؛ يروى أنه خلقها في الجنة ثم أنزلها ويحتمل المجاز وله وجهان:

أحدهما: أنَّها لَمَّا لم يعش إلاَّ بالنبات والماء، والنبات إنما يعيش بالماء،

---

(١) الدر المصون: ٣/٤٦٠.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٠/٧٩.

(٣) الدر المصون: ٦/٣٥٤.

(٤) معاني القرآن: ٥/١٢٦.

والماء يترل من السحاب، أطلق الإنزال عليها وهو في الحقيقة مطلق على سبب السبب كقوله:

..... أسْنِمَةُ الآبَالِ في رَبَابِــه[1]»[2]

وهذا الرأي ذكره بعض المفسرين[3]. وقال البغوي: «معنى الإنزال هاهنا: الأحداث والإنشاء»[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، ذكر السَّمين الحلبي أوجه متعددة في تفسير الآية الكريمة منها قوله: «أن المعنى «أهلكناها» أي: خذلناهم، ولم نوقفهم فنشأ عن ذلك هلاكهم، فعبَّر بالمسبب عن سببه، وهو باب واسع»[5].

وهذا رأي الزمخشري الذي قال: «والإهلاك إنَّما هو بعد مجيء البأس؟ قلت: معناه أردنا إهلاكها»[6] وتبعه البيضاوي والسيوطي وابن عادل[7].

٤- السببيَّة (ذكر السَّبب وإرادة المسبِّب):

نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: من

---

(١) لم أعثر على قائله، وصدر البيت: أقبل في المُسْتَنِّ من سَحابَه.

(٢) الدر المصون: ٦/٦.

(٣) ينظر: تفسير السراج المنير: ٣٤٩/٣، وفتح القدير: ٦٣٩/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٤٧٤/١٦.

(٤) معالم التنزيل: ١٠٨/٧.

(٥) الدر المصون: ٢٣٣/٣.

(٦) الكشاف: ٨٤/٢.

(٧) ينظر: أنوار التنزيل: ٤/٣، والإتقان: ٩٩/٣، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/٩.

الآية ١٧٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «إلاَّ النار» استثناءٌ مفرغٌ، لأنَّ ما قبله عاملاً يطلبه، وهذا من مجاز الكلام، جعل ما هو سببٌ للنار ناراً كقولهم: «أكل فلان الدم» يريدون الديَّة التي يسببها الدم، قال:

فَلَو أنَّ حيًّا يقبلُ المـــالَ فِديـــةً لسُقنَا إليهِ المَالَ كالسَّيلِ مُفعما
ولكنْ أبى قَومُ أجيبَ أخُـــوهمْ رضَا العَارِ واختَاروا على اللَّبنِ الدَّمَا[1]

وقال:

أكلتُ دماً إنْ لمْ أرُعكِ بضرَّةٍ بعيدَةِ مهوى القِرْط طيِّبَةِ النَّشرِ[2]»[3]

وهذا رأي ابن جزي الذي قال: «أي أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «ألاّ لنعلم» ليس على ظاهره، فإنَّ علمه قديم غير حادث، فلابد من تأويله، وفيه أوجه أحدها: لتمييز التابع من الناكص إطلاقاً للسبب وإرادة المسبب، وقيل: على حذف مضاف أي: لنعلم رسولنا فحذف، أو أراد بذلك تعلق العلم بطاعتهم وعصيانهم في أمر القبلة»[5].

وقال أبو السعود: «ما رددناك إلاَّ ما كنت عليه إلاَّ لنعلم الثابت على

---

(١) البيت في الحماسة: ١/١٢٥.

(٢) البيت لعروة الرحال، ينظر: الحماسة: ٢/٤٦٣.

(٣) الدر المصون: ١/٤٤٤.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٢٧، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣/١٨٤.

(٥) الدر المصون: ١/٣٩٤.

الإسلام والناكص على عقبيه لقلقلة وضعف إيمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي أي: ليتعلق علمنا به موجوداً بالفعل، وقيل المراد علم الرسول ﷺ والمؤمنين وإسناده إليه سبحانه لما أنهم خواصه ولتمييز الثابت عن المتزلزل فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه»[1]. وهذا الرأي ذكره أغلب المفسرين[2].

٥- اللزوميّة (إطلاق اسم اللازم على الملزوم):

ذكر السَّمين الحلبي هذه العلاقة في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة: ١٠٠]، فقال: «والبلاغُ يحتمل أن يكون مصدراً لـــ«بَلَّغ» مشدداً أي: ما عليه إلاَّ التبليغُ، فجاء على حذف الزوائد، كـــ«نبات» بعد «أنبت»، ويحتمل أن يكون مصدراً لـــ«بلغ» مخففاً بمعنى البلوغ، ويكون المعنى: ما عليه إلاَّ البلوغُ بتبليغه، فالبلوغُ مستلزِمٌ للتبليغ، فعبَّر باللازم عن الملزومِ»[3].

وهذا رأي ابن عطية وأبي حيان[4].

---

(١) إرشاد العقل السليم: ١٧٣/١.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٤١٧/١، ومدارك التنزيل: ٧٦/١، والبحر المحيط: ٥٩٧/١، واللباب في علوم الكتاب: ٢١/٣.

(٣) الدر المصون: ٦١٥/٢.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٩٧/٢، والبحر المحيط: ٣٠/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٥٤١/٧.

٦- الملزوميَّة (إطلاق اسم الملزوم على اللازم):

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠٣]، قال السَّمين الحلبي: «... وإنَّما ضدُّ «تعجَّل» «تأنى» وضدُّ تأخَّر: تقدَّم، ولكنه في «تعجَّل» عبَّر بالملزوم عن اللازم، وفي «تأخَّر» باللازم عن الملزومِ... وذلك أن المتأخِّرَ بالنَّفْر آتٍ بزيادةٍ في العبادة فله زيادةٌ في الأجر على المتعجِّل فقال في حقه أيضاً: «فلا إثم عليه»»[(١)].

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان[(٢)].

٧- تسيمة الشيء باسم ما كان عليه:

وهذا النوع من المجاز المرسل يطلق عليه أيضاً الماضيويَّة: أي: ما كان عليه الشيء في الماضي، فيسمونه باسم ما كان عليه. والمجاز في هذه العلاقة أنهم يستعملون اللفظ للدلالة على ما كان عليه الشيء في الماضي، ويريدون ما هو عليه في الحاضر، يجرون بذلك على أنَّ دلالة الصفة على الحاضر حقيقية، وعلى ما عداه مجاز[(٣)].

نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أزواجهن» مجازٌ؛ لأنَّه إنْ أُريد المطلَّقون فتسميتهم بذلك اعتباراً بما كانوا عليه، وإن أُريد

---

(١) ينظر: الدر المصون: ٥٠٢/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ١٢١/٢.

(٣) ينظر: صناعة الكتابة، ص١٩٤.

بهم غيرهم ممَّن يُردْنَ تزويجهم، فباعتبار ما يؤولون إليه»[1].

وهذا رأي أبي حيان[2].

٨- تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه:

ويقصد البلاغيون بالمستقبلية النسبة إلى المستقبل، أي: ما سيكون عليه الشيء في المستقبل، فيسمونه باسم ما سيكون عليه، والمجاز في هذه العلاقة أنهم يستعملون اللفظ للدلالة على ما سيكون عليه الشيء في المستقبل، متجاوزين ما هو عليه في الحاضر[3].

كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: من الآية ٣٦]، قال السَّمين الحلبي: «والخَمْرُ: العِنبُ، أطلق عليه ذلك مجازاً، لأنَّه آيل إليه»[4].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أكثر المفسرين[5].

٩- الماضيوية (إطلاق لفظ الماضي وإرادة المستقبل):

كما في قوله تعالى: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «فأوردهم»...

---

(١) الدر المصون: ٥٦٦/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٢٠/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٢١٤/٩.

(٣) ينظر: صناعة الكتابة، ص١٩٥.

(٤) الدر المصون: ١٨٣/٤.

(٥) ينظر: الكشاف: ٤٤٢/٢، ومعالم التنزيل: ٢٤٠/٤، والمحرر الوجيز: ٢٥٣/٣، ومدارك التنزيل: ١٨٨/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٩/٢، والبحر المحيط: ٣٠٨/٥، وأنوار التنزيل: ٢٨٧/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٧٥/٤، وفتح القدير: ٣٧/٣.

وهو ماضٍ لفظاً، مستقبل معنى، لأنَّه عطف على ما هو نص في الاستقبال»[1].

وذكر البيضاوي أن التعبير بالماضي لغرض المبالغة قائلاً: ««فأوردهم» ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه»[2] وتبعه الرازي والشربيني[3]. وذهب الشوكاني إلى غرض التنبيه قائلاً: «وعبر بالماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه»[4] وتبعه ابن عاشور[5]، ولم يذكر بقية العلماء غرض بلاغي لهذه العلاقة[6].

وقد ذكر السَّمين الحلبي أمثلة متعددة في تفسيره[7].

١٠- المستقبليَّة (إطلاق لفظ المستقبل وإرادة الماضي):

نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٩١]، قال السَّمين الحلبي: «وتقتلون -وإنْ كان بصيغة المضارع- فهو في معنى الماضي لفهم المعنى، وأيضاً فمعه قوله: «من قبل»، وجاز إسنادُ القتل إليهم وإن لم يتعاطوه؛ لأنَّهم لما كانوا راضين بفعل أسلافهم جُعِلوا كأنَّهم فعلوا هم أنفسهم»[8].

---

(١) الدر المصون: ١٢٨/٤.

(٢) أنوار التنزيل: ٢٥٩/٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٤٤/١٨، وتفسير السراج المنير: ٦٣/٢، والبحر المديد: ٣٢٨/٣.

(٤) فتح القدير: ٧٥٦/٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢٤/١١.

(٦) ينظر: الكشاف: ٤٠١/٢، وإرشاد العقل السليم: ٢٣٩/٤، ومدارك التنزيل: ١٧١/٢، والتسهيل في علوم التنزيل: ٨/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٥٥٨/١٠.

(٧) ينظر: الدر المصون: ١٨٧/٢، و٦٥٥/٢، و٣٧/٣، و٤٦٢/٤، و٥٠٤/٤.

(٨) الدر المصون: ٣٠٤/١.

قال ابن عطية: «وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأنَّ الأمر مستمر»[1].

وقال ابن جزي: «وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنَّه دائم لما رضي هؤلاء به»[2].

وذكر السَّمين الحلبي أمثلة متعددة في تفسيره[3].

١١- المحليَّة (ذكر المحل وإرادة الحال):

كقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥١]، قال السَّمين الحلبي:«وقُدِّم المجرور على المفعول به اهتماماً بذكر المحل قبل ذكر الحالِّ والإلقاء هنا مجاز؛ لأنَّ أصله في الأجرام، فاستعير هنا»[4].

وهذا رأي أبي حيان[5].

وأمثلته متعددة[6].

١٢- الآليَّة (ذكر الآلة وإرادة أثرها):

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بلسانك»...

---

(١) المحرر الوجيز: ١/١٦٢.

(٢) التسهيل في علوم التنزيل: ١/١٠١.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١/٢٩٥، و١/٥٢٣، و٢/٢٤٠-٢٤١، و٤/١١٦، و٦/٥٠٤.

(٤) الدر المصون: ٢/٢٣١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣/٨٣.

(٦) ينظر: الدر المصون: ٤/١٩٤، ٤/٢٠٨، ٤/٤٠٢، ٦/٥٤٧.

واللسان هنا: اللغةُ، أي: أنزلناه كائناً بلسانك»[1].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور وعليه أغلب المفسرين[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: من الآية ١٠٣]، قال السَّمين الحلبي: «واللِّسَانُ: اللُّغةُ»[3].

وهذا مطابق لما ذكره المفسرين[4].

وأمثلته متعددة[5].

(١) الدر المصون: ٥٣١/٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ٨٩/٣، والمحررالوجيز: ٦٩٠/١، ومدارك التنزيل: ٤٩/٣، والبحر المحيط: ٢٠٩/٦، وأنوار التنزيل: ٣٧/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٨٤/٥، وفتح القدير:٥٠٥/٣، والبحر المديد: ٣٧٢/٤.

(٣) الدر المصون: ٣٥٩/٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٥٩٣/٢، ومدارك التنزيل: ٢٧١/٢، والبحر المحيط: ٥١٩/٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٠٧/٤، والتحرير والتنوير: ٢٣٢/١٣.

(٥) ينظر: الدر المصون: ٢٥١/٤، ٢٨٧/٥، ٣٧٤/٥.

المبحث الثالث

الكناية

الكناية لغةً: قال ابن منظور: «أن تتكلم بشيء، وتريد غيره، وكنَّى عن الأمر بغيره يكنى كناية، وتكنَّى: تستَّر من كنى عنه إذا ورى، أو من الكنية»[1].

وهي **في الاصطلاح**: قال الجرجاني: «الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة... وفي المرأة نؤوم الضحى والمراد أنَّها مترفة مخدومة»[2].

وعرَّفها السكاكي فقال: «هي ترك الصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك»[3].

فالسكاكي يعتمد في التعريف السابق علاقة اللازم والملزوم فلو قلنا (كثير الرماد) نعد الكلام من اللازم، ولكن هناك معنى ملزوم بهذا اللازم، وهو الكرم وهذا ما قصده السكاكي بالملزوم.

◈ النوع الأول: الكناية عند السَّمين الحلبي (عن الصفة):

وقف السَّمين الحلبي على أمثلة عديدة، وضَّح الغرض منها بأسلوب يتَّسم بالوضوح والدقة في العبارة، مما يدلل على فهمه العميق لها ومن تلك

---

(١) لسان العرب، مادة (كنى).

(٢) دلائل الإعجاز، ص٥٢.

(٣) مفتاح العلوم، ص١٨٩.

الأمثلة كل بحسب نوعه: النوع الأول: الكناية عن صفة:

ويكون المطلوب بها نفس الصفة، والمراد الصفة المعنوية، كالجود، والكرم، والشجاعة ونحوها، لا النعت[1].

وقد وردت الكناية عن صفة في القرآن الكريم بأنماط كثيرة، منها:

١- الكناية عن الطول بـــ(العماد):

كقوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧]، قال السَّمين الحلبي: «وذات العماد وإن كان صفة لقبيلة فمعناه أنَّهم أصحاب خيام لها أعمدة يطعنون بها. أو هو كناية عن طول أبدانهم. كقولهم: رفيع العماد، طويل النجاد قاله ابن عباس وإن كان صفة للمدينة فمعناه أنَّها ذات عمد من الحجارة»[2].

وهذا ما ذكره أكثر المفسرين[3].

٢- الكناية عن الندم بـــ(تقليب الكف، وعض اليدين، والسقوط):

فمن الأول ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «يقلِّب كفيه»... وهذا كناية عن الندم، لأنَّ النادم يفعل ذلك»[4].

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم، ص٤٠٤، والإيضاح: ٣١٩/٢-٣٢٠.

(٢) الدر المصون: ٥١٩/٦.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٤٩/٥، والكشاف: ٧٥١/٤، والبحر المحـــيط: ٤٦٤/٨، والتسهيل في علوم التنزيل: ٣١٩/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٣١٩/٢٠.

(٤) الدر المصون: ٤٥٩/٤.

وهذا رأي أغلب المفسرين[1].

وقال الرازي: «وهو كناية عن الندم والحسرة؛ فإنَّ من عظمت حسرته يصفق إحدى يديه على الأخرى، وقد يمسح إحداهما على الأخرى، وإنَّما يفعل هذا ندامة»[2] وذكر هذا الزمخشري والنسفي وغيرهم[3].

ومن الكناية عن عض اليدين قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧]، قال السَّمين الحلبي: «والعَضُّ هنا كناية عن شدة الندم، ومثله حرق نابهُ قال:

أبى الضَّيمَ والنُّعمانُ يحرقُ نابه عليهِ فأفضَى والسُّيوفُ معاقِلُه[4]

وهذه الكناية أبلغ من تصريح المكنَّى عنه»[5].

ومن الكناية عند الندم بالسقوط قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، قال السَّمين الحلبي: «وهذه اللفظة تستعمل في التندم والتحير»[6].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٢٣/٥، والبحر المحيط: ١٢٣/٦، وأنوار التنزيل: ٤٩٩/٣، والتسهيل في علوم التنزيل: ٢٧٩/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٩٥/١٢، والبحر المديد: ٢٢٣/٤.

(٢) التفسير الكبير: ١٠٩/٢١.

(٣) ينظر: الكشاف: ٦٧٦/٢، ومدارك التنزيل: ١٥/٣، وفتح القدير: ٤١١/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٩٧/٢.

(٤) البيت لزهير، وهو في ديوانه، ص١٤٣.

(٥) الدر المصون: ٢٥٣/٥.

(٦) المصدر نفسه: ٣٤٥/٣.

وذكر السَّمين الحلبي أقوال بعض العلماء واضطرابهم في معناها قائلاً: «وقد اضطربت أقوال أهل اللغة في أصلها، فقال أبو مروان بن السراج اللغوي: قول العرب: «سُقط في يده» مما أعياني معناه. وقال الواحدي: قد بان من أقوال المفسرين وأهل اللغة أن «سقط في يده» نَدِمَ، وأنَّه يستعمل في صفة النادم. فأما القول في أصله ومأخذه فلم أرَ لأحدٍ من أئمة اللغة شيئاً أرتضيه فيه، إلاَّ ما ذكر الزجاجي، فإنه قال: قوله تعالى: ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ بمعنى: نَدِموا، نظم لم يُسمع قبل القرآن، ولم تعرفه العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم، ويدل على صحة ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم خَفِيَ عليهم وجه الاستعمال، لأنَّ عادتهم لم تَجرِ به، فقال أبو نؤاس:

ونَشوَةٍ سُقِطَتُ مِنْهَا في يَدِي[1]

وأبو نُؤاس هو العالم، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ، لأنَّ «فُعِلْتُ»، لا يبنى إلاَّ من فعل متعد، و«سُقِطَ» لازم، لا يتعدى إلاَّ بحرف الصلة، لا يقال: سُقِطْتُ، كما لا يقال: رُغبتُ وغُضِبْتُ، إنما يقال: رُغِبَ فيَّ، وغُضِبَ عليَّ، وذكر أبو حاتم: «سقط في يده» بمعنى: ندم، وهذا خطأ مثل قول أبي نؤاس. ولو كان الأمر كذلك لكان النظم «ولما سُقِطُوا في أيديهم، وسُقِطَ القومُ في أيديهم». وقال أبو عبيدة: «يقال لمن نَدِمَ على أمر وعجز عنه: سُقِطَ في يده»[2].

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب: ٤/٢٢٠ وينظر: ديوانه: ٢/١٣٨.

(٢) الدر المصون: ٣/٣٤٥، وينظر: مجاز القرآن، ص٤١.

وهذا رأي أكثر العلماء[1].

٣- الكناية عن الشدة بـــ(كشف الساق والظلمات):

نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، قال السَّمين الحلبي: «وكشف الساق: كناية عن الشدة لا يمتري في ذلك من ذاق طعم الكلام وسمع قول العرب في نظمها ونثرها قال الراجز:

عَجِبْتُ مِنْ نَفسِي ومِنْ إشفَاقِهَا ... ومِنْ طِرَادِي الخَيل عَنْ أرزَاقِهَا

في سنةٍ قدْ كَشَفَتْ عَنْ ساقِهَا ... حمراءُ تبرِي اللَّحْمَ عَنْ عُراقِهـــا

وقال حاتم الطائي:

أخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ بِهِ الحَربُ عضَّهَا

وإنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمْرَاً[2]

قال الزمخشري: الكشف عن الساق، والإبداء عن الخدام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الروع والهزيمة»[3].

وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين والعلماء[4].

---

(١) ينظر: الكشاف: ١٥١/٢، المحرر الوجيز: ٥٢٤/٢، ومعالم التنزيل: ٢٨٣/٣، ومعاني القرآن للنحاس: ٨١/٣، والتفسير الكبير: ٩/١٥، وأنوار التنزيل: ٦٠/٣، وإملاء ما من به الرحمن: ٢٨٥/١، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ٢١٠/١، وتفسير السراج المنير: ٤٠٩/١، واللباب في علوم الكتاب: ٣٢٠/٩، وياقوتة الصراط: ٢٣١/١.

(٢) ديوان حاتم الطائي: ١٣٨.

(٣) الدر المصون: ٣٥٨/٦، وينظر: الكشاف: ٥٩٨/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٢٩/٥، ومعالم التنزيل: ١٩٨/٨، وإرشـــاد العقـــل السليم: ١٨/٩، والكشاف: ٥٩٨/٤، والتفسير الكبير: ٨٤/٣٠، وأنوار التنزيل: ٣٧٤/١٥، والبحر المحيط: ٣٠٩/٨، والتسهيل في علوم التنزيل: ٢١٢/٣.

ومن الكناية عن الشدة بالظلمات مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]، قال السَّمين الحلبي: «و«الظلمات» كناية عن الشدائد»[١].

وهذا رأي أكثر المفسرين[٢]، قال البغوي: «أي: من شدائدهما وأهوالهما»[٣].

٤- الكناية عن الكثرة بـ(الغيظ):

كقوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٩]، قال السَّمين الحلبي: «وهو كناية عن كثرة الإسلام وفُشُوِّه، لأنَّه كلما ازداد الإيمان زاد غيظُهم»[٤].

وذهب أكثر العلماء إلى هذا المعنى ولكنهم لم يذكروا لفظ الكناية[٥]، وقال بعضهم إلى أنَّ الغيظ هو شدة الغضب، والتعبير عن شدة الغضب بعضِّ الأنامل مجازاً[٦].

---

(١) الدر المصون: ٨٤/٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٣٩/٢، والمحرر الوجيز: ٣٥٨/١، والكشاف: ٣٢/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٨/٧، وأنوار التنزيل: ٤١٧/٢، والبحر المحيط: ١٥٤/٤، وتفسير السراج المنير: ٣٣٩/١، وتفسير الجلالين: ١٧٢/١، واللباب في علوم الكتاب: ١٩٩/٨، والتحرير والتنوير: ١٤٤/٦.

(٣) معالم التنزيل: ١٥٢/٣.

(٤) الدر المصون: ١٩٨/٢.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٧٦/٢، والكشاف: ٤٣٥/١، والتفسير الكبير: ١٧٦/٨، والبحر المحيط: ٤٤/٣، وأنوار التنزيل: ٨٥/٢، ومدارك التنزيل: ١٧٥/١.

(٦) ينظر: تفسير الجلالين: ٨٠/١، وتفسير السراج المنير: ١٩٧/١.

٥- الكناية عن التكبر بـــ(ثاني عطفه):

نحو قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٩]، قال السَّمين الحلبي: «كُني به عن التكبر»[(١)].

وهذا رأي أكثر المفسرين[(٢)].

٦- الكناية عن النؤوم والكسلان بـــ(جاثمين):

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨]، قال السَّمين الحلبي: «والجُثُوم: اللصوق بالأرض من جثوم الطائر والأرنب، فإنَّه يلصق بطنه بالأرض، ومنه رجل جُثمَةٌ وجَثَّامَةٌ، كناية عن النَّؤُوم والكسلان. وجُثمانُ الإنسان: شخصه قاعداً. وقال أبو عبيد: الجثوم للناس والطير، كالبروك للإبل، وأنشد لجرير:

عَرَفْتُ المُنتَأى وعرفتُ منـــها مطايا القِدرِ كالحِدَأ الجُثُومِ[(٣)]»[(٤)]

وفسَّر أغلب المفسرين الآية دون ذكر لفظ الكناية[(٥)]، قال أبو حيان:

---

(١) الدر المصون: ١٢٨/٥.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٩٦/٦، وتفسير القرآن العظيم: ٣٩٩/٥، والكشاف: ١٤٧/٣، وأنوار التنزيل: ١١٦/٤، والبحر المحيط: ٣٢٩/٦، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٠٩/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٢٨/١٤.

(٣) ديوانه، ص٢١٧.

(٤) الدر المصون: ٢٩٦/٣.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٤٤/٣، والكشاف: ١١٦/٢، والتفسير الكبير: ١٤٨/١٤، وتفسير السراج المنير: ٣٩١/١.

«هامدين لا يتحركون موتى: يقال الناس جثوم أي: قعود لا حراك بهم..»[1].

٧- الكناية عن التباطؤ بـــ(اقعدوا):

نحو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: من الآية ٤٦]، قال السَّمين الحلبي: «والمراد بقوله: «اقعدوا» التخلية وهو كناية عن تباطئهم، وأنَّهم تشبهوا بالنساء أو الصبيان والزَّمنى وذوي الأعذار، وليس المراد قعوداً»[2].

ولم يذكر أغلب المفسرين لفظ الكناية وإنَّما اكتفوا بتفسيرها.

٨- الكناية عن التواضع واللين بـــ(الخفض):

كقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «فَجُعِلَ خفض الجناح كناية عن التواضع واللين»[3].

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان والشوكاني وغيرهم[4]، وقال القرطبي: «هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما»[5]، ولم يذكر الزمخشري والنسفي لفظ الكناية[6].

---

(١) البحر المحيط: ٣٣٤/٤.

(٢) الدر المصون: ٤٦٩/٣، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٠٥/١٠.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨٥/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٢٥/٦، وفتح القدير: ٣١٣/٣، وتفسير السراج المنير: ٢٣٣/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٢٥٩/١٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٣/١٠.

(٦) ينظر: الكشاف: ٦١٥/٢، ومدارك التنزيل: ٢٨٣/٢.

٩- الكناية عن التقوية بـــ(العضد):

قال السَّمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: من الآية ٣٥]،: «وهذا كناية عن التقوية له بأخيه»[(١)].

وهذا رأي الشوكاني وغيره[(٢)]، ولم يذكر أغلب المفسرين لفظ الكناية[(٣)]، قال أبو حيان: «سنقويِّك فيه»[(٤)].

◈ النوع الثاني: الكناية عن موصوف:

ويكون المطلوب بها نفس الموصوف[(٥)]، وقد ورد هذا النوع بأنماط متعددة في القرآن الكريم تناولها السَّمين الحلبي في تفسيره، وهي كما يأتي:

١- الكناية عن الاسم بـــ(الأبوة):

وذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، قال السَّمين الحلبي: «وكنّى بذلك إمّا لالتهاب وجنتيه وكان مشرق الوجه أحمره، وإما لما يؤول إليه من لهب جهنم. كقولهم: أبو الخير وأبو الشر لصدورهما منه، وإما لأنَّ الكنية أغلب من الاسم. أو لأنَّها أنقص منه، ولذلك ذكر الأنبياء

---

(١) الدر المصون: ٣٤٥/٥.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٢٤٧/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٢٥٨/١٥، والبحر المديد: ٤٠٦/٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٨١٨/١، ومعاني القرآن للنحاس: ١٨٠/٥، ومعالم التنزيل: ٢٠٨/٦، والكشاف: ٤١٤/٣، والتفسير الكبير: ٢٨٧/١٣، وأنوار التنزيل: ٢٩٢/٤، وتفسير السراج المنير: ٩٩/٣، وتفسير الجلالين: ٥١٣/١.

(٤) البحر المحيط: ١١٣/٧.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم، ص٤٠٣.

بأسمائهم دون كناهم، أو لقبح اسمه فاسمه عبد العزى فعدل عنه إلى الكنية، وقال الزمخشري: فإن قلت: لَمَ كناه والكنية تكرمه؟ ثم ذكر ثلاثة أجوبة: إما لشهرته بكنيته، وإما لقبح اسمه كما تقدم، وإما لأنَّ مآله إلى لهب جهنم»[1].

وهذا رأي القرطبي والزركشي والسيوطي[2].

٢- الكناية عن المرأة بـــ(النعجة والفرش):

فمن الأول مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقرأ العامة «نَعْجَةً» بفتح النون والحسن وابن هرمز بكسرها. قيل: وهي لغة لبعض بني تميم. وكثر في كلامهم الكناية بها عن المرأة، قال ابن عون:

أَنَا أَبُوهُنَّ ثَلاَثٌ هُنَّهْ[3]

رابعةٌ في البيت صُغْراً هُنَّهْ

وَنُعْجَتِي خَمْساً تُوَفِّيهُنَّهْ

وقال الآخر:

هُمَا نعجتَـــانِ مِـــنْ نِعَـــاجِ تَبَالَـــهُ

لدَى جُوْذُرَينِ أو كبعضِ دُمَى هَكْرِ[4]»[5]

---

(١) الدر المصون: ٥٨٥/٦، وينظر: الكشاف: ٢٩٦/٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٦/٢٠-٢٣٧، والبرهان، ص٥٠٥، والإتقـــان: ١٢٤/٣.

(٣) لم أعثر على تخريجه.

(٤) البيت لامرئ القيس، ديوانه، ص١١٠.

(٥) الدر المصون: ٥٣١/٥.

وهذا ما ذكره أغلب المفسرين[1].

ومن الكناية عن المرأة بالفرش قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، قال السَّمين الحلبي: «والفرش قيل: هي القماش المعهود ومرفوعة على الأسرَّة، وقيل: هي كناية عن النساء»[2].

وهذا رأي أغلب المفسرين[3].

٣- الكناية عن الحدث بـــ(الغائط):

نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: من الآية ٤٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقرأ الجمهور: «الغائط» بزنة فاعل، وهو المكان المطمئنُّ من الأرض، ثم عَبَّر به عن نفس الحدث كنايةً للاستحياء من ذكره»[4].

وهذا هو المشهور عند العلماء[5].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٩٧/٦، والمحرر الوجيز: ٥٦٩/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٢١/٧، وأنوار التنزيل: ٤٢/٥، والبحر المحيط: ٣٧٦/٧، وتفسير السراج المنير: ٣٣٠/٣، وفتح القدير: ٦٠٥/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤٤٤/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٣٩٦/٦، والبحر المديد: ٣٢٠/٦.

(٢) الدر المصون: ٢٥٩/٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٥٩/٤، ومعالم التنزيل: ١٣/٨، وإرشاد العقل السليم: ١٩٣/٨، ومدارك التنزيل: ٢٠٨/٤، وأنوار التنزيل: ٢٨٧/٥، والبحر المحيط: ٢٠٦/٨، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١٢١/٣، واللباب في علوم الكتاب: ٤٠٠/١٨.

(٤) الدر المصون: ٣٧٠/٢.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٨٠/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٣٩٩/٦، والبرهان، ص٥٠٢.

٤- الكناية عن أسباب الموت ومقدماته بـــ(الحضور):

كقوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٣]، قال السَّمين الحلبي: «وحضور الموت كناية عن حضور أسبابه، ومقدماته، قال الشاعر:

وقُلْ لهمْ بادروا بالعُذرِ وَالْتمِـــسُوا قولاً يُبَرِّئكُمْ إنِّي أنا المـــوتُ[١]

أي: أنا سببه»[٢].

وهذا ما ذهب إليه العلماء[٣]، قال أبو السعود: «والمراد بحضور الموت: حضور أسبابه»[٤].

٥- الكناية عن الدولة والغلبة بـــ(الريح):

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، قال السَّمين الحلبي: «والريح في قوله: «ريحكم» كناية عن الدولة والغلبة. قال:

إذا هَبَّتْ رياحُـــكَ فاغتَنِمْهَـــا فإنَّ لكُلِّ عاصِفَةٍ سُكُونَا[٥]»[٦]

وفسَّر الزمخشري وأبو حيان الآية من دون ذكر الكناية، قال الأول:

---

(١) البيت لرويشد بن كثير وهو في الحماسة: ١٠٢/١.

(٢) الدر المصون: ٣٧٩/١.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٤٦/١، وإملاء ما من به الـــرحمن: ٧٨/١، وزاد المسير: ٤٤٥/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٥٠٦/٢، والتحرير والتنوير: ٢٠١/٢.

(٤) إرشاد العقل السليم: ١٦٤/١/١.

(٥) لم أعثر على قائله.

(٦) الدر المصون: ٤٢٥/٣.

«والريح: الدولة، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها، فقيل: هبَّت ريح فلان، إذا والت له الدولة ونفذ أمره»[1]، وذهب أبو السعود والبيضاوي إلى معنى الاستعارة[2].

٦- الكناية عن الاصطفاء بــ(آثرك):

هو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١]، قال السَّمين الحلبي: «واسْتأْثَرَ اللهُ بفُلانٍ، كناية عن اصطفائه له، قال:

آثركَ الله بــهِ إيثارَكَــا   واللهُ أسماكَ سُــمىً مباركــاً[3]»[4]

ولم يذكر أغلب المفسرين لفظ الكناية وإنَّما اكتفوا بتفسيرها[5]، قال البغوي: «أي: اختارك الله وفضَّلك علينا»[6].

٧- الكناية عن الموت بــ(تردى):

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «تردّى» إما من الهلاك أو من تردّى بأكفانه وهو كناية عن الموت، كقوله:

(١) الكشاف: ٢/٢/٢١٥، وينظر: البحر المحيط: ٤/٤٩٩.
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٤/٢٥، وأنوار التنزيل: ٣/١١٢.
(٣) البيت لأبي خالد القناني.
(٤) الدر المصون: ٤/٢١٣.
(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٤/٣٠٤، والكشاف: ٢/٤٧٣، والوجيز للواحــدي: ١/٥٥٩.
(٦) معالم التنزيل: ٤/٢٧٤.

وخطا بأطراف الأسَّنة مضجعي ورداً على عيني فضل ردائيا[1]»[2]

وهذا رأي الزمخشري والقرطبي وابن جزي الكلبي[3].

٨- الكناية عن عَلَمِ بـــ(فُلان):

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨]، قال السَّمين الحلبي: «و«فُلان» كناية عن عَلَمِ مَنْ يعقل وهو متصرف وفُلُ كناية عن نكرة مَنْ يعقل من الذكور وفُلَةُ عن مَنْ يعقل من الإناث والفُلانُ والفُلانةُ وبالألف واللازم عن غير العاقل ويختص فُلُ وفُلَةُ عن مَنْ يعقل من الإناث والفُلانُ والفُلانَةُ وبالألف واللام عن غير العاقل...»[4].

وإلى هذا المعنى ذهب النسفي قائلاً: ««فلاناً خليلاً» كناية عن الأعلام»[5]، وهذا هو المشهور[6].

٩- الكناية عن الكلام بـــ(لحن القول):

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: من الآية ٣٠]،

---

(١) البيت لمالك بن الريب من مرثيته المشهورة.

(٢) الدر المصون: ٥٣٥/٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٧٦٧/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٩٠/٢٠، والتسهيل في علوم التنزيل: ٣٣١/٣، وتفسير السراج المنير: ٤٠٠/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٣٧٤/٢٠.

(٤) الدر المصون: ٢٥٣/٥.

(٥) مدارك التنزيل: ٤٤٢/٢.

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢١٧/٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٥٣/٩، وأنوار التنزيل: ٢١٥/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٥٢٢/١٤، والبحر المديد: ١٩٣/٥.

قال السَّمين الحلبي: «قوله: «في لحن القول» اللحن: يقال باعتبارين أحدهما: الكناية بالكلام حتى لا يفهمه غير مخاطبك ومنه قول القتال الكلابي في حكاية له:

ولقد وميت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحناً ليس بالمرتـــاب[1]

واللحن: صرف الكلام من الإعراب إلى الخطأ...»[2].

في حين ذكر أغلب المفسرين اشتمال الآية الكريمة على التعريض والتورية[3]، قال البيضاوي: ««لحن القول» أسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن؛ لأنَّه يعدل بالكلام عن الصواب»[4].

(١) ديوانه، ص٣٦.

(٢) الدر المصون: ١٥٧/٦.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٠١/٨، والكشاف: ٣٣٠/٤، ومـــدارك التنزيـــل: ١٥٠/٤، وفتح القدير: ٥٧/٧.

(٤) أنوار التنزيل: ١٩٦/٥.